الفصل الخامس

البحث التربوى

"مفهومه – نشأته – أهدافه"

مقدمة

أولا: مفهوم البحث التربوى

ثانيا: نشأة وتطور البحث التربوى

ثالثا: أهداف البحث التربوى

رابعا: أهمية البحث التربوى

خامسا: فوائد البحوث التربوية والنفسية

سادسا: وظائف البحث التربوى

الفصل الخامس

البحث التربوى

"مفهومه – نشأته – أهدافه"

مقدمة

يعتبر البحث التربوى وسيلة مهمة لتحسين أساليب التربية وطرقها والنهوض بمستواها وتلبية الاحتياجات الملقاة على عاتقها والارتفاع بكفاءتها وتوثيق صلتها بعملية التنمية الاجتماعية والاقتصادية في المجتمع بالإضافة إلى أنه ركيزة أساسية في وضع الاستراتيجية التربوية وتطويرها تقوم عليه من أسس ومقومات.

والبحث التربوى هو تطبيق نسقى للطريقة العلمية في دراسة مشكلة تربوية وهدفه ينبثق من هدف العلم كله، أى تفسير الظاهرة التربوية والتنبؤ بها وضبطها وأن التربية هو محور وأساس البحث التربوى كأحد العلوم ذات الأهمية الكبيرة لنمو وتقدم أى مجتمع فهى الوسيلة الأساسية لحل المشكلات والنهوض بالأفراد والرقى بالأمم وتقاس كفاءتها بقدرة القائمين عليها على تطوير النظام التربوى والنهوض به في ضوء المتغيرات التى تشكل واقعه وتؤثر على مستقبله، وتهتم التربية بالوسائل التى تعين المربى على الوصول بالناشر في مختلف مراحل نموه إلى النمو المتكامل المتزن بقدر ما تسمح به استعداداته ومكوناته الشخصية حتى يتسنى له التوافق مع بيئة توافقه سويا.

وأن البحث التربوى هو أحد فروع البحث العلمى وهو يهدف إلى تناول قضية تربوية بالدراسة وفق المنهج العلمى والأسس والأصول والقواعد العلمية، بغية تحقيق نتيجة محدودة تتحصل مباشرة بتفسير وتوفير الحلول لهذه القضية أو

المشكلة التى تدور حول تلك القضية فالبحث التربوى يتناول قضية معينة تدور في ذهن الباحث أو تبرز من خلال الممارسات التربوية أو تكون خطة بحثية محددا سلفا وهنا يلزم تحديد المشكلة بدقة والجزئية المطلوب تناولها بالدراسة ليكون هو محور هذا البحث.

ويعمل البحث التربوى على دراسة واقع الأنظمة التربوية والكشف عن خصائصها وعن نواحى القوة والضعف فيها، بقصد التعرف على أحوالها والتعمق في طبيعتها مستندا إلى ما يتوصل إليه من معرفة في إجراءات الإصلاح والتطوير والمساهمة في إزالة العقبات في سبيل تحقيق الأداء السليم كما أنه يقوم بتطوير الأنظمة التربوية في إطار طبيعة المجتمع وخصائصه وتطلعاته إلى التقدم بما يؤدى إلى زيادة الكفاية الداخلية والخارجية لتلك الأنظمة التربوية.

ويعتبر البحث التربوى همزة الوصل بين الواقع التربوى والقائمين على صنع السياسة التربوية حيث يقدم لهم صورة واقعية على أساس علمى سليم، يمكن الاعتماد عليه والوثوق بها، في سبيل تحديد معالم المنظومة التربوية، وأسلوب عملها وبالتالى يضمن الاستقرار والثبات، فالسياسة التعليمية التى تقوم على البحث العلمى والدراسة العميقة، تكون أكثر ثباتا واستقرارا من تلك التى تبنى على التصور الشخصى مهما كانت درجة حساسية هذا التصور، لما يلعبه البحث التربوى من دور كبير في هذا المجال سواء في عملية اتخاذ القرارات التربوية، أو تزويد المسئولين عن صنع السياسة التعليمية برؤية شاملة للقضايا والمشكلات والتحديات المطروحة كما يبرز لهم الأولويات التى تحدد معالم النظرة المستقبلية للعملية التربوية.

ويحظى البحث التربوى في كليات التربية وغيرها من مراكز البحث التربوى باهتمام متزايد باعتباره جزءا من البحث العلمى في الجامعات الذى يهتم بإنتاج وتنمية المعرفة التربوية لخدمة قضايا ومشكلات التربية والتعليم في الواقع

التربوى سواء على المستوى الفكرى التنظيرى أو التنفيذى الممارسى. الأمر الذى يوضح أهمية البحث التربوى وتعاظم دوره في تحقيق التنمية التربوية والبشرية في المجتمع، ويفرض في الوقت نفسه ضرورة الاهتمام بالبحوث التربوية وإعطائها الأولوية التى تستحقها وتوفير ما تحتاجه من الإمكانات المادية والبشرية والتكنولوجية اللازمة لتحقيق اهدافها البحثية بما يساعد على زيادة فعالية البحث التربوى في تطوير الممارسات التربوية في واقع المؤسسات التربوية والتعليمية.

ويعتبر البحث التربوى في كليات التربية أحد الوسائل الحيوية لتحديث وتطوير النظام التعليمى وخاصة فيما يتعلق بتوجيه الممارسة التربوية، في مدارس التعليم على اختلاف أنواعها ومراحلها، حيث يظهر بتبادل المنفعة في اتجاهها الأول بين البحث التربوى والممارسة التربوية في تطوير ذاتها وتوجيه عملياتها ورفع كفاياتها وتحقيق أهدافها بكفاءة وفعالية فالبحث التربوى الذى لا يرتبط بالواقع التربوى في شكل أو في آخر، أو يعرض لمسائل يعلم الباحث مقدما عدم فعاليتها في تطوير المؤسسات التربوية والعملية التعليمية لا جدوى منه ولا يقدم شيئا سوى تخلف المجال وضياع الوقت وتشتيت عقول المهتمين.

ومن هنا يبرز البحث التربوى أهميته وصعوبته فهو علم بالغ التعقيد يبحث في البشر بكل متغيراتهم وتكويناتهم التى تؤثر وتتأثر ببعضها على كافة المستويات، ويتم ذلك من خلال مؤسسات تربوية يفوضها المجتمع هذه الرسالة، وبالتالى يمكن اعتبار البحث التربوى استخدام للمنهج العلمى في دراسة المجال التربوى، ومن حيث يعتمد على أهداف واضحة شأنه في ذلك شأن الميادين الأخرى للبحث العلمى، ويتبع الطرق العلمية لتحقيق تلك الأهداف، حيث هو كل دراسة علمية منظمة ومتناسقة تعتمد على المنهج العلمى، وتهدف إلى معالجة المشكلات التربوية، فالبحث التربوى عملية فكرية من أجل تقصى

الحقائق في ميدان التربية والتعليم وتتناول قضاياه ومشكلاته بمنهجية وعلمية بهدف إضافة معلومات جديدة وإثراء المعرفة والوصول إلى حلول للمشكلات التعليمية إلى نتائج قابلة للتعميم في القضايا التعليمية ويقوم به باحث أو مجموعة من الباحثين لتناول موضوع بحثى محدد بطريقة علمية للوصول إلى نتائج معينة ومن ثم فالبحث التربوى يلتزم بقيم العلم وأصوله، وبالعمل على بناء الانساق المعرفية التربوية التى تساعد على الكشف عن المعارف الجديدة، أو تدعيم ما هو قائم منها والعمل على تحسينه وهذا يلتزم بدراسة القضايا والمشكلات التربوية من أجل استجلائها والعمل على حلها وهذا يكون للبحث التربوى أهميته المعرفية والتطبيقية، ويكون هو الأساس العلمى للمعرفة، ويمدنا بالمعلومات التى يمكن من خلالها جعل التعليم أكثر إيجابية ويمكن ببساطة تعريف البحث التربوى بأنه محاولة للوصول إلى حقائق معينة لمشكلات تؤرق البشرية.

أولا: مفهوم البحث التربوى :

إن البحث التربوى هو مجال من مجالات البحث العلمى يعالج مشكلات تربوية وأن البحث التربوى هو مجموعة من الخطوات التى تتم وفق الأسلوب العلمى أو المنهج وهو محاولة دقيقة يمكن الثقة في نتائجها للوصول إلى حلول للمشكلات والصعوبات التى تواجه المؤسسات التعليمية والعمليات التربوية التى تتم فيها.

وبذلك يعرف البحث التربوى بأنه عملية فكرية منظمة من أجل تقصى الحقائق في ميدان التربية والتعليم وتناول قضاياه ومشكلاته بمنهجية وعلمية تهدف إلى إضافة معلومات جديدة وإثراء المعرفة، والوصول إلى حلول للمشكلات التعليمية وهو عملية يقوم فيها وبها باحث أو مجموعة من الباحثين يتناول موضوع بحثى هو مشكلة البحث بطريقة علمية هى طريقة البحث

للوصول إلى نتائج موضوعية معينة هى نتائج البحث.

كما أن البحث التربوى هو دراسة الفكر التربوى للمفاهيم والآراء التربوية والمؤسسات التربوية بمختلف مراحلها وأهدافها سواء كانت مؤسسات نظامية أو غير نظامية بالإضافة إلى الممارسة التربوية التى تحدث فى هذه المؤسسات ولهذا فإن البحث التربوى هو الفحص المنهجى المنظم للفكر التربوى من جهة والمؤسسات التربوية والعمليات التربوية التى تستند إلى هذا الفكر من جهة أخرى، فالفكر التربوى لا قيمة له ما لم يثبت جدواه فى الممارسة العملية والممارسة التربوية التى لا تعتمد على فكر يوجهها هى عمل عشوائى لا جدوى منه.

إنه من الصعب جدا تعريف البحث التربوى تعريفا يقبله الجميع حيث أن هناك معانى لا حصر لها للفظ التربية وبناء على ذلك يعرف البحث التربوى بما يلى:

يعرف البحث التربوى بأنه سعى منظم نحو الفهم مدفوع بحاجة أو صعوبة محسوبة وموجة نحو مشكلة تربوية معقدة يتجاوز الاهتمام بها الاهتمام الشخصى ومعبر عنها فى صيغة مشكلة.

وبذلك فإن البحث التربوى ينبغى أن يدل على استقصاء دقيق ناقد شامل يهدف إلى اكتشاف حقائق جديدة تساعد على وضع فرض جديدة محل الاختبار أو يساعد فى مراجعة نتائج مسلم بصحتها أو يسهم بقيم موجبة لصالح المجتمع. ويرى فى هذا التعريف أن البحث التربوى ينبغى أن يكون منتظما أكثر منه عرضيا وينبغى أن ينشأ من مشكلات صيغت بعناية، وهكذا.

كما يعرف البحث التربوى بأنه جهد منظم وموجه بغرض التوصل إلى حلول للمشكلات التربوية فى المجالات المختلفة منها، المناهج والكتب المدرسية. والإدارة المدرسية وطرق التدريس والمرافق والوسائل التعليمية.

كما يقصد بالبحث التربوى بأنه كل نشاط علمى مقصود يهدف إلى تعريف مشكلات تعليم اللغة العربية والتربية الإسلامية ودراسة هذه المشكلات وفهم أبعادها واقتراح حلول لها ويدخل في هذه البحوث ما يجريه الموجهون والمعلمون من بحوث ميدانية في هذا المجال.

كما يعرف أيضا البحث التربوى بأنه هو أحد ميادين البحث العلمى الذى يختص بالعملية التربوية بجوانبها المختلفة ويعنى استخدام المنهج العلمى بتصميماته وأساليبه المتنوعة في دراسة المشكلات التربوية والتوصل إلى الحصول الملائمة لها.

وقد عرف أيضا البحث التربوى بأنه عملية فكرية منظمة من أجل تقصى الحقائق في ميدان التربية والتعليم وتناول قضاياه ومشكلاته بمنهجية وعلمية بهدف إضافة معلومات جديدة وإثراء المعرفة والوصول إلى حلول للمشكلات التعليمية أو نتائج صالحة للتصميم في القضايا التعليمية وهو عملية يقوم بها باحث أو مجموعة من الباحثين لتناول موضوع بحثى هو مشكلة البحث بطريقة علمية هى طريقة البحث للوصول إلى نتائج معينة هى نتائج البحث.

ويعرف أيضا البحث التربوى بأنه هو مجال من مجالات البحث العلمى يتجه نحو المشكلة والقضايا التربوية في محاولة للوصول إلى حلول لهذه المشكلات وهو يعنى تطبيق الطرق والأساليب العلمية في بحث المشكلات التربوية، وفى تطوير الممارسات التربوية والنظم التى تحكم هذه الممارسات.

وأن مفهوم البحث التربوى يتضمن :

- سعى منظم نحو فهم الظاهرات التربوية.
- ملاحظة منظمة ودراسة موضوعية للصعوبات والمشكلات.
- تطبيق وتجريب وتفسير واستنتاج.

ويقصد أيضا بالبحث التربوى بأنه تلك البحوث العلمية التى تجرى في

كليات التربية بأقسامها التربوية المختلفة والتى يقوم بها الباحثون على مستوى أعضاء هيئة التدريس ومن في حكمهم.

ويعرف البحث التربوى ايضا بأنه هو مجموعة من الخطوات التى تتم وفق الأسلوب العلمى أو المنهج وهو محاولة دقيقة يمكن الثقة في نتائجها للوصول إلى حلول للمشكلات والصعوبات التى تواجه المؤسسات التعليمية والعمليات التربوية التى تتم فيها.

وهناك من يعرف البحث التربوى بأنه عملية فكرية منظمة من أجل تقصى الحقائق في ميدان التربية والتعليم وتناول قضاياه ومشكلاته بمنهجية وعلمية تهدف إلى إضافة معلومات جديدة وإثراء المعرفة والوصول إلى حلول للمشكلات التعليمية حيث يقوم باحث أو مجموعة من الباحثين بتناول موضوع بحثى هو مشكلة البحث بطريقة علمية هى طريقة البحث للوصول إلى نتائج معينة هى نتائج البحث.

ويعرف أيضا البحث التربوى بأنه هو تلك الجهود التى تتوفر فيها الأركان الأساسية للبحث العلمى والتى يقوم بها أعضاء هيئة التدريس وغيرهم من الخبرات بكليات التربية ومراكز البحوث التربوية بقصد اكتشاف بعض الحقائق العلمية أو الوصول إلى حلول علمية لبعض المشكلات التربوية والتعليمية أو التى يقوم بها الطلاب المسجلين بهذه الكليات والمراكز لدرجة الماجستير والدكتوراه تحت إشراف أساتذة وذلك بقصد تدريبهم على أساليب البحث العلمى في العلوم التربوية وإكسابهم المهارات التى يتطلبها البحث تمهيدا لإلحاقهم بإدارات ومراكز البحوث التربوية أو ضمهم إلى عضوية هيئات التدريس بكليات التربية.

ويقصد بالبحث التربوى في كليات التربية بأنه تلك البحوث العلمية التى تجرى بكليات التربية وغيرها من مراكز البحث التربوى سواء على مستوى

الماجستير أو الدكتوراه فى فروع التربية (أصول التربية – علم النفس – المناهج وطرق التدريس وغيرها) حيث يقوم بإجرائها الباحثون من معاونى أعضاء هيئة التدريس (المعيدون والمدرسون المساعدون) أو فى حكمهم من طلاب الدراسات العليا فى كليات التربية، وكذلك البحوث العلمية المقدمة للترقية لوظيفة أستاذ مساعد أو أستاذ والتى يتم نشرها بالطرق المتعارف عليها فى المجلات والدوريات والمؤتمرات التربوية حيث يقوم بإجرائها أعضاء هيئة التدريس فى كليات التربية ومن فى حكمهم من التربويين والتى تهدف جميعها إلى تنمية الرصيد المعرفى فى المجال التربوى.

ومن خلال هذه التعريفات يؤكد البعض أنه ليس هناك تعريف عام موحد للبحث التربوى لأن البحث نشاط واسع متنوع ويأخذ أشكالا مختلفة وأساليب متنوعة وقد يكون البحث نتيجة جهود فرد واحد أو مجموعة من الأفراد، أو يكون مسئولية هيئة من الهيئات أو منظمة من المنظمات، وقد تكون نتيجة البحث أشياء غامضة أو اكتشافات رائعة وبذلك يهدف البحث دائما توسيع نطاق المعرفة البشرية وتنميتها.

ثانيا نشأة وتطور البحث التربوى

شهدت جميع العصور تجديدات تربوية من نوع ما اقترحها أو نفذها أعلام يحتلون مكانة بارزة فى تاريخ التربية مثل سقراط وأفلاطون وكوانتليان وابن خلدون واخوان الصفاة وكومنيوس وجان جاك روسو وغيرهم. إلا أن البحث التربوى جديد لا يمكن إرجاعه إلى ما قبل القرن العشرين ولعل التطور الكبير فيه لا يتجاوز العقود الخمسة الأخيرة.

ولقد نشأ البحث التربوى فى البداية كما يقول تايلر Tyler على يد علماء النفس مثل وليام جيمس W.James ، وفيليب فرنون Ph. Vernon

والفرد بينية A. Binet وسبيرمان Sperman وثورنديك Thorndik الذين عملوا في مجالات عدة منها الاختبارات والتعلم والمؤرخين مثل بول مونورا P. Mpnroe صاحب كتاب المعروف بالمرجع في تاريخ التربية والفلاسفة مثل جون ديمى J. Demey الذى وضع الأسس النظرية لمدرسة في شيكاغوا ، وشكلت كتاباته أساسا فكريا لنمط من التربية يتجاوز حدود التعلم الصفى ليشمل نطاق أشكال التعامل بين المتعلمين والمدرسة والبيت والمجتمع المحلى.

وأنه يوجد اختلاف بين أساتذة التربية حول تحديد الفترة التى نشأ فيها البحث التربوى بالمعنى العلمى الحديث، فبينما يرجعه البعض منهم إلى نهاية الربع الأول من القرن العشرين، بينما يرجعه البعض الآخر إلى نهاية القرن التاسع عشر أو مطلع القرن العشرين.

وفيما يتعلق بالبداية الرسمية للبحث التربوى يوجد اتجاهان:

الاتجاه الأول:

يرى أنصار هذا الاتجاه أن الجذور التاريخية للبحث التربوى قد غرست في عام ١٨٧٩ عندما أسس ولهلم فونت W.wondt أو معمل لعلم النفس التجريبى في مدينة ليبزج بألمانيا وكان محور اهتمام هذا العلم دراسة وقعت رد الفعل وقياس حدة الحواس والمهارات الحسية. وقد بدأ البحث التربوى خلال هذه الفترة كبحث يمنظم ذى أسس إمبريقية مرتبطا بعلم النفس التجريبى الذى حمل رواده بعد فوندت كل من ميومان Meumann ولاى Lay في ألمانيا وبينى Binet ، وسيمون Simon في فرنسا ، وجود Judd ، وثورنديك Thorndike ورايس Rice في أمريكا، وكالاباريد Claparede في سويسرا.

الاتجاه الثانى:

وهذا الاتجاه هو الاتجاه الأقوى ويعتقدون أنصار هذا الاتجاه أن جوزيف

رايس J. Rice هو مؤسس البحث التربوى الحديث عام ١٨٩٧ عندما نشر دراستين متضمنين نتائج بحوثه عن العلاقة بين فترة تعلم التلاميذ لهجاء الكلمات وتحصيلهم الدراسى. وأن جون ديوى Dewey يعتبر الأب الروحى للبحث التربوى الحديث نظرا لأنه أول من وضع خطوات استخدام المنهج العلمى في التربية في كتابه كيف نفكر الذى أصدره عام ١٩١٠.

وتقسم الفترة العمرية للبحث التربوى إلى ثلاث مراحل كالتالى:

١- المرحلة الأولى خلال القرن التاسع عشر

تأثر علم النفس والتربية خلال هذه الفترة بالعلوم الطبيعية وظهرت فكرة استخدام المنهج العلمى في التربية في كتابات كل من كانت Kant وهربرت Herbert. وبستالوزى Pestalozzy وأن كانت هذه الكتابات متضمنة للخبرة الميدانية أكثر من التجريب المرتبط بالتصميمات التجريبية ومن أهم الأحداث التى ظهرت خلال هذه الفترة والتى تشير إلى بداية الاهتمام بالبحث التربوى ما يلى:

١- في عام ١٨٥٩ أصدر بين Bain كتابه الانفعال والإرادة وقد اهتم هذا الكتاب ببناء اختبارات الاستعدادات.

٢- وفى عام ١٨٦٤ قدم فيشر Fisher الإحصاء إلى البحث التربوى من خلال استخدامه للمتوسط الحسابى في التعامل مع البيانات الكمية.

٣- وفى عام ١٨٧٠ صمم بارتولومى Bartholomei استبيانا للتعرف على حجم ومستوى المعلومات لدى الأطفال وقام بتطبيقه على حوالى ٢٠٠٠ تلميذ.

٤- وفى خلال السبعينات نشر ولر Willer أول دراسة تجريبية وافتتح جيمز James أول معمل لعمل النفس بجامعة هارفارد الامريكية، ولكنه لم يكن معملا تجريبيا حيث كان الهدف من إفشائه هو تطبيق أداء

الملاحظة المنظمة للسلوك وقدم جالتون Galton كتابه الموهبة الوراثية الذى عرض فيه مفاهيم التقنية والارتباط والفروق الفردية والتعريف الإجرائى، كما أصدر بين Bain كتابه التربية كعلم وتعلم العديد من العلماء من كثير من دول العالم المتقدم على أيدى فوندت ومعمله الشهير.

وخلال الثمانينات قدم أينمهاوس Ebbinghouse دراسته الشهيرة عن الذاكرة وعلاقتها بالتعلم وبدأ الاهتمام يتزايد باستخدام بعض الأساليب الإحصائية في البحث التربوى نتيجة لاقتناع بعض الباحثين باستخدام هذه الأساليب التى يمكن أن تساعد في التعامل مع الظاهرات والمشكلات التربوية التى تتميز بالتعقد وعدم الثبات ويعتبر جالتون أول من استخدم المنحنى الاعتدالى والمئينيات، وقام بتطوير معامل الارتباط ونشر بيرسون Berson البريطانى معادلته الخاصة بمعامل الارتباط واستخدم أسلوب كاتل.

وقد شهدت التسعينات استخدام كاتل Cattell لمصطلح الاختبار الفعلى وتأسيس دورية سيمنار طرق التدريس على يد هول Ifall وتأسيس الجمعية القومية للدراسة العلمية للتربية بالولايات المتحدة الأمريكية ، وتأسيس ديوى لنظام المدارس التجريبية الملحقة بكليات التربية.

٣- المرحلة الثانية: خلال النصف الأول من القرن العشرين

شهدت هذه الفترة الاهتمام بما يطلق عليه التربية التجريبية على أيدى كل من رايس Rice وبينية Binet وسيمون Simon وكلاباريد Elaparede الذى أسس أول معمل لعلم النفس التجريبى في جنيف عام ١٩٠٤ وأصدر أول طبعة من كتابه علم نفس الطفل وطرق التدريس عام ١٩٠٥ وثورنديك الذى يعتبر الممثل الحقيقى للتوجه العلمى في التربية، وذلك لأنه أول من تعامل مع جميع خطوات البحث العلمى، وأول من أدرك طرق التدريس بلغة نظرية التعلم المختبرة والمصاغة تجريبيا ويرى البعض أن إسهام ثورنديك في

البحث التربوى يعادل تاثير فوندت في علم النفس التجريبى.

وتمثل هذه الفترة مرحلة التوسع في البحث التربوى ومن مظاهر هذا التوسع:

١- في الإحصاء:

استخدم سكايتون Schuyton المجموعات التجريبية والضابطة عام ١٩٠٣ ونشر سيبرمان تحليله لمصفوفة الارتباط لتأكيد نظرية العاملين الخاصة به عام ١٩٠٤ وفى نفس العام بدأ استخدام التحليل العاملى الذى ساعد الباحثين أن يكونوا على وعى بدلالة الفروق الإحصائية، وخلال هذه الفترة أوضح جوسيت Gossett كيفية قياس الخطأ المعيارى وتطور استخدام T. Test والتصميم التجريبى "كا٢" ودرجات الحرية وتحليل التباين.

وقد فيشر Fisher إسهامه في بداية معرفة الإحصاء الاستدلالى، وفى ذات الفترة ظهرت مجموعة من المؤلفات الإحصائية منها كتابات لثورنديك ١٩١٣ وماكول ١٩٢٢ Macall ، وثرستون ١٩٢٠ Thorston.

٢- الاختبارات العقلية:

بدأ خلال هذه الفترة تصميم الاختبارات العقلية والتحصيلية وتطبيقها على تلاميذ المدارس في أوربا وأمريكا حيث ظهر اختبار بينية وسيمون عام ١٩٠٥ كأول أداة قياس عقلية إجرائية صادقة، وكذلك الاختبارات العقلية الجماعية على يد جالتون في انجلترا وستانفورد بينية بالولايات المتحدة الأمريكية، وبدأ الاهتمام باستخدام اختبارات القبول بالمدارس والاختبارات النهائية بها، وازداد الاهتمام بهذه الاختبارات حتى بلغت حوالى ١٣٠٠ اختبارا مقنن صالح للاستخدام في أمريكا وحدها عام ١٩٢٨.

٣- الدراسات والبحوث:

أجريت بعض الدراسات العلمية في التربية خلال هذه الفترة، وإن كانت الدراسات المسحية هى صاحبة الأولوية حيث قام جوليان Guallien مؤسس

التربية المقارنة بتصميم استبيان قومى ودولى مكون من ٣٢ صفحة يغطى معظم عناصر النظم التعليمية، ودراسة رايس عن المنهج وطرق التدريس والهجاء لدى التلاميذ حيث طبق أداة دراسته على حوالى ١٦ ألف تلميذ فيمثلون ٣٦ ولاية أمريكية، ودراسة ثورنديك التى اهتما بالبحث في الخصائص العامة للمدرسة والمناهج وهيئات التدريس، ودراسة إيريس Ayrese وفريقه ودراسات جامعة هارفارد، وبعض الدراسات المسحية الأخرى في بعض دول أوربا وإذا كانت الفترة من بداية الثلاثينات حتى الحرب العالمية الثانية قد أثرت سلبيا على نشاط البحث التربوى، حيث لم يرحب بعض الحكام الديكتاتوريين في بعض الدول مثل الاتحاد السوفيتى بحرية البحث، فإنها خلقت مشكلات تربوية كثيرة ساعدت على تطوير الاختبارات في بعض الدول مثل اختبارات جليفورد Gulford في أمريكا وهوسين Husen وبولت Boult في السويد وكان تركيز البحث التربوى خلال هذه الفترة على تطبيق مبدأ تكافؤ الفرص في التعليم الثانوى وعلاقته بالمستوى الاقتصادى الاجتماعى وتعليم الفقراء والبنات وجماعات الأقليات، وكذلك بعض التجارب في التعليم وخاصة تجربه نظام المدرسة الشاملة وإمكانية مواجهتها لبعض المشكلات المرتبطة بضعف تطبيق مبدأ تكافؤ الفرص التعليمية.

ويرى آرى وزملاؤه أن المرحلة الثانية شهدت توسعا كثيرا في البحث التربوى حيث كان استخدام أدوات جمع البيانات في اختبارات ومقاييس وملاحظات وغيرها ميسرا، وبدأت دور النشر التجارية بالاهتمام بإمداد الباحثين بالاختبارات وأصبح البحث التربوى يأخذ مكانه كمجال للدراسة في كثير من الجامعات وأصبحت مقرراته الدراسية إجبارية على طلاب الدراسات العليا بكليات التربية، وأنشئت مراكز للبحث التربوى في بعض الجامعات ، وظهر كثير من المجلات والدوريات العلمية المتخصصة في البحث التربوى.

٣- المرحلة الثالثة خلال النصف الثانى من القرن العشرين

شهدت هذه المرحلة تطورا كبيرا في البحث التربوى نتيجة لدورة الفعال في تحسين العملية التعليمية، وقد أدى ذلك إلى تحسين الطرق والإجراءات والأدوات البحثية بهدف الحصول على معلومات تربوية أكثر مصداقية وتعرض البحث التربوى لجميع جوانب العملية التعليمية من طلاب ومعلمين ومناهج وطرق تدريس وإدارة وأهداف وقد تميزت هذه المرحلة بالاستمرارية في الاهتمام بالبحث والدراسة لمبدأ تكافؤ الفرص التعليمية والمشكلات والقضايا المرتبطة بصعوبة تطبيقه، والاهتمام بتجارب المدارس الشاملة وخاصة في دول العالم الثالث، وقد ازداد اهتمام الحكومات القومية بالإشراف على البحث التربوى وتمويله وذلك عن طريق تخصيص جزء من الميزانية العامة للدولة للبحث التربوى ووضع الخطط البحثية مقيدة وطويلة المدى وإمدادها بالأجهزة والمعدات والمعامل.

وقد ازداد الاهتمام بالبحث التربوى خلال فترة السبعينات نتيجة لأزمة التعليم في عالمنا المعاصر التى أثارها كومبز عام ١٩٦٨ Coombs والتى نتجت عن عدم التوازن بين مخرجات التعليم ومتطلبات سوق العمل وخاصة في الدول النامية، وقد ظهر خلال هذه المرحلة عدد كبير من الباحثين الذين كان لهم إسهام إيجابى في تحسين العملية التعليمية ومنهم كون Kuhn وبياجيه Piaget وكرونباخ Cronbach وكامبل Campel وكيرلنجر Kerlinger .

ومع أوائل الستينيات بدأ استخدام الحاسب الآلى في البحث التربوى وقد أدى استخدامه إلى تسهيل تطبيق كثير من العمليات والأساليب الإحصائية مثل الانحدار المتعدد والتحليل العاملى وتحليل التباين المتعدد، وساعد أيضا في الاهتمام بالمشروعات البحثية الكبيرة، هذا بالإضافة إلى أن استخدام كل من

كامبل وستانلى Stanley للتصميمات التجريبية وشبه التجريبية أصبح يمثل علامة مميزة لهذه المرحلة التى شهدت زيادة سريعة في المعرفة في العلوم الاجتماعية المختلفة والتى ساعدت بدورها على تقدم البحث التربوى.

وقد تعرض البحث التربوى للعديد من الموضوعات والمجالات البحثية في التربية وأجريت أبحاث كثيرة فيها، ومنها على سبيل المثال الأهداف التربوية والتعليمية والقياس التربوى وكفاءات المعلمين والإبداع والتربية التعويضية للأطفال المحرومين ثقافيا واجتماعيا وطرق وأساليب التربية المبكرة والجوانب الاجتماعية لعملية التعلم، والاستعدادات والخبرات غير المدرسية وتعليم الكبار، وتطوير المناهج ومناهج البحث.

وخلال عقدى الثمانينات والتسعينيات بدأ الاهتمام بالدراسات الكيفية بهدف معالجة بعض أوجه القصور في الدراسات الكمية والتكامل معها، وزيادة الاهتمام بحركة البحث الإنسانى التى تركز على الدراسات الاجتماعية والانثروبولوجية والتاريخية واللغويات وزيادة الاهتمام بالطرق والأساليب الأنثوجرافية في دراسة بيئة التعلم سواء في المنزل أو المدرسة أو حجرة الدراسة، والتى تعتمد على الملاحظة للكشف عن المشكلات داخل هذه المؤسسات ، هذا بالإضافة إلى توجه كثير من الدراسات التربوية نحو البحث فيما يمكن أن تكون العملية التعليمية والنظم التعليمية بعناصرها المختلفة في المستقبل معتمدة على بعض الطرق والأساليب وأدوات البحث المستقبلية مثل السيناريوهات وأسلوب بيرت Bert وأسلوب دلفاى وغيرها.

وفى مصر يعتبر جهود محمد على في العصر الحديث بداية للاهتمام بالعلم والبحث العلمى حيث كان من مهام الأجانب الذين استدعاهم لبناء دولته الحديثة النظر في شئون التعليم والبحث في وسائل إصلاحه، كذلك الفرصة التى أتيحت للمصريين المبعوثين إلى أوربا من عصر محمد على للإطلاع على

الحضارة الأوربية وانعكاس ذلك في مطالبة العديد من الأصوات بإنشاء جامعة مصرية لتثقيف الشباب.

وإذا كانت أول رسالة دكتوراه في التربية قد أجازتها الجامعة المصرية عام ١٩٢٨ فإنه يمكن اعتبار عام ١٩٢٩ بداية ظهور البحث العلمى المنظم في مجال التربية ففى هذا العام ونتيجة لجهود الخبير البريطانى (كلاباريد) وفريق البحث الذى عاونه في المهمة التى أوكلتها إليه وزارة المعارف العمومية أنشئ ما يعرف بمعهد التربية العالى للمعلمين، حيث شهد مولده بداية النشاط المكثف والمنظم للبحوث التربوية والسيكولوجية في مصر بل وفى العالم العربى أجمع. وفى عام ١٩٣٤ أنشئ المعهد العالى للتربية للمعلمات ليقف إلى جانب معهد المعلمين كمصدرين أساسيين للبحث التربوى في مصر، وكنتيجة لدعوة علماء مصر إلى إنشاء مظلة علمية لهم، توحد وتدعم الأنشطة العلمية المتناثرة، وتنظيم البحوث العلمية القائمة في أقسام الكليات العلمية، فقد استجابت الحكومة لذلك وأنشأت مجلس فؤاد الأول الأهلى للبحوث في نوفمبر ١٩٣٩ وأنه لم يبدأ نشاطه الفعلى إلا سنة ١٩٤٧ ، ومن الجهود التى اعتمدت البحث التربوى وسيلة لتطوير التعليم في تلك الفترة إنشاء مكتب البحوث الفنية الذى أنشأته وزارة المعراف العمومية بعد ذلك المراقبة العامة للبحوث الفنية والمشروعات عام ١٩٤٥ لإعداد مشروعات التعليم على أساس من البحث الفنى والإحصاء، وتعتبر هذه المراقبة نواة الإدارة العامة للبحوث الفنية والمشروعات التى أنشئت عام ١٩٥٥ لمعاونة المسئولين في دراسة بعض شئون التعليم، ووضع الخطط الكفيلة بتحسين العملية التعليمية وتطويرها لتساعد أحدث الاتجاهات العالمية.

واستمرت الجهود بعد قيام ثورة يوليو سنة ١٩٥٢ وما صاحب ذلك من اهتمام بالتعليم فأنشئت اللجنة الدائمة للبحوث سنة ١٩٥٨ لوضع برامج مفصلة للبحوث التى يحتاج إليها لمواجهة المشكلات العلمية والتطبيقية ووضع الخطط

اللازمة لتنفيذها، على أن يتولى وزير التربية والتعليم رئاستها واستهدفت هذه اللجنة وضع برنامج للأبحاث التربوية التى يمكن أن تسهم في حل مشكلات التعليم التى يعانى منها ميدان التربية والتعليم وكانت خطة العمل تتم في إطار احتياجات التخطيط العام للدولة التى يحددها المجلس الأعلى للعلوم وفى عام ١٩٦١ أنشئت الإدارة العامة للبحوث الفنية بهدف نشر الوعى بأهمية البحث التربوى ، والقيام ببحث المشكلات التربوية، ونشر نتائج البحوث والتجارب التى تقوم بها ومتابعة الإفادة منها.

ونتيجة لإنشاء العديد من كليات التربية واهتمامها بالبحث الأكاديمى، نشط البحث التربوى للحصول على درجتى الماجستير والدكتوراه، ونشطت البحوث التى يجريها أعضاء هيئات التدريس بها.

واستمرار للاهتمام بالبحث العلمى وتوجيه التعليم الجامعى والبحث العلمى لخدمة المجتمع والإرتقاء به حضاريا ، وظهر العديد من الروابط والمؤسسات البحثية، واستخدم البحث العلمى في شتى مجالات الحياة وميادين المعرفة ظاهرة تميز هذا العصر.

ثالثا: أهداف البحث التربوى

يهدف البحث بصفة عامة إلى توسيع نطاق المعرفة وتنميتها فيهدف البحث التربوى إلى تحقيق أهداف البحث العلمى باعتباره بحثا ينتمى إلى دائرة العلم ويعمل وفق شروطه ويسعى إلى تحقيق أهدافه العامة.

وهناك من يرى أن من أهم أهداف البحث التربوى هو الكشف عن المعرفة الجديدة. ومن خلال ذلك يقدم الحلول والإجابات والبدائل والفروض التى تساعدنا في تعميق فهمنا للأبعاد المختلفة للعملية التربوية، وما يكتنفها من مشكلات وما نجهله في مجالاتها، وبالتالى يساعد في تحديد فعالية الطرق

والأساليب المختلفة وفهم نظرتنا للعملية التربوية على أساس موضوعى سليم، وتوجيه العمل التربوى على أساس من التعقل والاستبصار، ويعنى ذلك حصر الاحتياجات اللازمة التى حددتها ووضعتها الجهات المسئولة عن السياسة التعليمية، واقتراح الحلول باستخدام البحوث التربوية.

كما أن البحث التربوى يعمل على توفير المعرفة والمعلومات بصورة تسهم في تطوير المنظومة التربوية بطريقة علمية، وبالصورة التى تتفق واحتياجات العصر ومتطلباته.

وتحدد أهداف البحث التربوى في الأهداف التالية:

١- تجديد وتطوير الأداء في العملية التربوية بما يضمن الارتقاء بمستوى مخرجاتها.

٢- وضع الأسس والمبادئ والقوانين التى تضمن سير العمل التربوى بطريقة علمية منتظمة في ضوء فكر علمى تربوى راسخ.

٣- المراجعة المستمرة للواقع التربوى، والتقيم المستمر لها في ضوء أهداف واحتياجات المجتمع ومتطلباته التربوية.

٤- تحديد موقع المنظومة التربوية المحلية بين المنظمات التربوية الأخرى على مستوى العالم خاصة المتقدم منها، لمحاولة الاستفادة من التجارب الناجحة في البلدان المختلفة فيما يتلاءم والواقع المحلى أو بتطويعها لتتلاءم معه.

٥- الدراسة والمتابعة المستمرة للمنظومة التربوية من حيث برامجها ومناهجها ووسائطها وهياكلها التنظيمية، بهدف التقييم المستمر للواقع ، وتوقع المستقبل المأمول والممكن وفق الاحتياجات المجتمعية المستقبلية.

وبالإضافة إلى ذلك فإن المشكلات التربوية كثيرة ومعقدة لأنها متصلة بالسلوك الإنسانى المعقد وهذا ما يجعل البحث في العلوم الطبيعية أسهل من البحث في العلوم الإنسانية، بسبب كثرة العوامل والمتغيرات التى تؤثر في

الظواهر الاجتماعية والإنسانية ومنها التربوية وصعوبة ضبط هذه المتغيرات والتحكم فيها وبذلك فإن من أهم أهداف البحث التربوى تتمثل في الأهداف التالية:

١- فهم الظواهر التربوية وتفسيرها.

٢- حل المشكلات والصعوبات التى تعترض المسيرة التربوية.

٣- تطوير الأساليب والنظم التربوية.

٤- إحداث نقلة نوعية في النظام التربوى.

٥- توجيه سلوك التلاميذ وضبطه.

٦- إكساب المعلمين والتربويين روح البحث العلمى.

وفى ضوء ذلك فإنه يمكن تحديد بعض المهام التى يمكن أن يكلف بها البحث التربوى داخل المنظومة التربوية والتى تسهم في إبراز دورة بما يحقق الأهداف المرجوة وتتمثل تلك مهام البحث التربوى في المهام التالية والتى من أهمها:

١- رسم السياسة التعليمية وتنظيم الهياكل التى تسير وفقها خطط الدراسة.

٢- إعداد نماذج المبانى المدرسية اللازمة والمناسبة لاستيعاب الأعداد المطلوب تعليمها.

٣- إعداد الكوادر المؤهلة القادرة على أداء هذه المهمة من معلمين وإداريين وفنيين وأجهزة متابعة.

٤- طرح بدائل التمويل اللازم لأداء المنظومة التربوية لعملها بفعالية.

٥- توفير جهاز للتجديد والتطوير التربوى يكون قادرا على تقويم الواقع والإعداد للمستقبل.

٦- دراسة الأسس العلمية التى يمكن اتباعها لتلبية الاحتياجات التربوية للمجتمع.

٧- تطوير عملية إعداد المعلم وفق المستحدثات العلمية والتكنولوجية.

٨- تطوير العملية التعليمية بما تتلائم والمتغيرات العالمية.

٩- توفير الحلول المناسبة للمشكلات التى تواجه العمل في الميدان التربوى.

ومن ذلك يمكن أن يستهدف البحث التربوى داخل المنظومة التربوية بعض المجالات ومنها:

١- رسم السياسات التعليمية وتنظيم الهياكل التى تسير وفقها خطط الدراسة.

٢- إعداد المبانى المدرسية اللازمة والمناسبة لاستيعاب الأعداد المطلوب تعليمها.

٣- إعداد الكوادر المؤهلة القادرة على أداء هذه المهمة من معلمين وإداريين وفنيين وأجهزة متابعة.

٤- توفير التمويل اللازم لإنجاز هذه المهمة القومية سواء من خلال الموازنة العامة للدولة أو من خلال مصادر أخرى، وذلك وفق السياسة العامة للدولة وأهدافها واستراتيجيتها.

٥- توفير جهاز للتجديد والتطوير التربوية يكون قادرا على تقويم الواقع والإعداد للمستقبل.

وعلى الرغم من التصنيفات المتعددة للبحوث التربوية وأنواعها خاصة فيما يتعلق بأغراض وأهداف البحث التربوى في تربية الطفل سواء كان بحثا أساسيا أو تطويرا أو تطبيقا أو إجرائيا أو غير ذلك أو ما يتعلق بطرق ومنهج البحث التربوى في تربية الطفل سواء كان بحثا تجريبيا أو وصفيا أو مقارنا أو تاريخيا أو مستقبليا أو غير ذلك إلا أن هناك أهدافا رئيسية للبحث التربوى في تربية الطفل يسعى إلى تحقيقها بطريقة مباشرة أو غير مباشرة ومن أهم هذه الأهداف ما يلى:

١- التعرف على واقع النظام التربوى القائم على تربية الطفل أو أحد عناصره

وتشخيص جوانب الضعف والقوة، لتعظيم جوانب القوة ووضع الحلول المناسبة لتلافى جوانب الضعف وصولا إلى المستوى المطلوب في تحقيق أهداف تربية الطفل بالجودة المطلوبة.

٢- التعرف على علاقة نظام تربية الطفل أو أحد عناصر بالمتغيرات المجتمعية الأخرى في سياقاتها الثقافية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية. ومدى تأثيره أو تأثره بتلك المتغيرات المحيطة به وذلك من أجل زيادة إسهام النظام التربوى لتربية الطفل في الحياة الاجتماعية والاقتصادية في المجتمع.

٣- الكشف عن المعرفة التربوية الجديدة في مجال تربية الطفل وتكوين مخزون تربوى من المفاهيم والحقائق والتصميمات والنظريات في مجال العمل التربوى مع الأطفال واستخدامها في تقديم الحلول المناسبة والبدائل الممكنة التى تساعد على تعميق فهم الأبعاد المختلفة لتربية الطفل ورسم سياستها التربوية واتخاذ القرارات المناسبة لها على المستوى التخطيطى أو التنفيذى.

٤- تطوير وتجديد نظم تربية الطفل قبل المدرسة والعمل على زيادة كفائتها وكفايتها الداخلية والخارجية من خلال تعظيم وإثراء عمل مدخلات هذه التربية وتفعيل عملياتها بما يسهم في الحصول على مخرجات تربوية تتفق مع المواصفات المعيارية والطموحات المأمولة من هذه النظم التربوية تجاه الفرد والمجتمع.

٥- المساعدة في تحديد العوامل والأسباب التى تسهم في فاعلية الاستراتيجيات الطرق والبرامج والأساليب والوسائل المستخدمة في تربية الطفل قبل المدرسة وتطوير ممارساتها التربوية داخل وخارج حجرات الأطفال في مؤسسات تربية ما قبل المدرسة.

٦- الكشف عن مشكلات معلمى ومعلمات دور الحضانة ورياض الأطفال

وغيرهم من القائمين على تربية الطفل في المؤسسات الثقافية والإعلامية والسياحية، وتحسين تدريبهم مهنيا وتطويرهم اجتماعيا مهنيا بما يساعد على فاعلية أدوارهم الوظيفية المتغيرة في تربية الطفل.

٧- تطوير نظم الإدارة التربوية لمؤسسات تربية الطفل وتكامل مدخلاتها القيادية الرقابية التمويلية والتنسيقية والتنظيمية وقراراتها التربوية وعلاقتها الإنسانية على اعتبار أن قوة تربية الطفل تكمن في قوة إدارة هذه التربية قبل المدرسة فكرا ونظاما وممارسة.

٨- وصف وتحليل وتفسير الظواهر التربوية الناشئة في المجتمع أو الوافدة إليه من ثقافات أخرى ذات العلاقة بتربية الطفل ومحاولة التنبؤ بما ستكون عليه أوضاع تربية الطفل مستقبلا في ضوء متطلبات الضبط التربوى والاجتماعى لقضايا تربية الطفل.

٩- تطوير برامج الإرشاد التربوى والنفسى للطفل والأسرة (النمائى – الوقائى – العلاجى) وكذا برامج التوجيه التربوى للطفولة والأمومة والأبوة بما يساعد على تحقيق المستوى المطلوب من الصحة النفسية للأطفال والآباء والأمهات وغيرهم من المشاركين في العملية التربوية.

١٠- الكشف عن العوامل التربوية والمجتمعية وغيرها التى يمكن أن تسهم في تطوير نظم تربية الطفل وزيادة كفاءتها ومرورها بما يضمن صياغة أفضل لهذه التربية من خلال استبدال أساليب تربوية جديدة تثبت فاعليتها وجدواها بالأساليب التقليدية التى لا تلبى الحاجات التربوية المتغيرة لتربية الطفل، وذلك عبر تقويم الأهداف والسياسات والاستراتيجيات والخطط والبرامج والطرق والمضامين والأنشطة التربوية لطفل ما قبل المدرسة.

١١- مساعدة المربين القائمين على تربية الطفل قبل المدرسة آباء وأمهات

ومعلمين وغيرهم على فهم معنى تربية الطفل وكيفية القيام بها بوعى إدراك ومعرفة أى أنواع الأنشطة والتربوية أكثر ملائمة لتحقيق النمو المتكامل في شخصية الطفل جسميا وعقليا واجتماعيا ووجدانيا.

١٢- إيجاد إجابات علمية كافية لبعض التساؤلات التربوية المتعلقة بطبيعة الطفل وطرق ترتبيته في المؤسسات التربوية، خاصة تلك الأسئلة التى تدور حول من تربى وتعلم، لماذا نربى ونعلم، أين نربى ونعلم، كيف نربى ونعلم، بماذا نربى ونعلم، وغيرها من التساؤلات التى تستوجب إجابات علمية تسهل وتيسر عمليات تربية الطفل.

١٣- توفير الحافز والتوجيه للتجديد التربوى بما يسهم في تطوير النظم التعليمية وزيادة كفاءتها ومردودها ، من منطلق أن الأساليب التقليدية القائمة، لا تلبى الحاجات التربوية المتغيرة وذلك من خلال تقويم البرامج التربوية والإجراءات والمواد التربوية والنظر إلى النتائج التى يتم التوصل إليها.

ويتضح مما سبق أن البحث التربوى لا يعمل في فراغ ولكنه يجب أن يستمد أصوله وجذوره من الواقع التربوى بالكشف عن مشكلاته ووضع الحلول المناسبة لها، فعلاقة البحث التربوى بالممارسة التربوية هى علاقة وظيفية أو ينبغى أن تكون ويجب أن تقوم الممارسة التربوية على أسس ونتائج البحث التربوى لتوجيه وتطوير إجراءاتها وتحقيق أهدافها فالبحث التربوى أساسى لعلاقته بالتجديد والتجويد في ميدان التربية ولكى تستخدم نتائج التجديدات التربوية في الممارسات التربوية وفى تجديد وتطوير النظام التعليمى وترشيده، ولكى لا يكون التجديد التربوى في المجالات المختلفة مجرد تغيير في هيكل النظام أو تكون أساليب ممارسته الميدانية على غير أساس فلابد أن يستمد كل هذا على أساس من البحث التربوى.

وهكذا تكون نقطة بداية البحث التربوى هى إنطلاق من واقع الممارسات التربوية تحليلا وتقويما وتوجيها ومتابعة، بما يتناسب مع الحاجات التربوية المتغيرة.

وما تحتاجه الممارسات الحالية من هذه الحاجات وما تحتاجه أيضا من توظيف للمعرفة التربوية، ونتائج البحث التربوى لاستخدامها في توجيه وتطوير إجراءاتها وفى نفس الوقت يستفيد البحث التربوى من خلال تصحيح وتعديل مساراته البحثية بما يخدم العملية التربوية والعملية البحثية، فالبداية الصحيحة للبحث التربوى تتمثل في تغيير المعلومات التربوية القائمة استنادا إلى المعارف النظرية والرغبة في تحسين العملية التربوية، ويتبع ذلك إجراء البحوث لتقويم الممارسات الجديدة، ثم تعدل الممارسات في ضوء نتائج البحوث والخبرات، ثم تجرى بحوث جديدة، وهكذا تتفاعل النظرية وتطبيقاتها وتفيد الممارسة البحث، ويغنى البحث بالممارسة.

رابعا: أهمية البحث التربوى :

تزداد أهمية البحث التربوى بعد تفجر التربية نفسها بما طرأ عليها من توسع أبعادها الكمية استجابة نحو المطامع والآمال، تحرك الدول للوفاء بها عن طواعيه واختيار تارة، وعن تسليم واضطرار تارة أخرى، ومن المسلم أن البحث التربوى له أهمية كبرى لا يمكن إنكارها أو التقليل من شأنها وقد جاء الاهتمام بالبحث التربوى مواكبا للاهتمام بالبحث العلمى ككل كظاهرة عصرية في عالمنا الحديث، وأصبح البحث التربوىاليوم يمثل المدخل الطبيعى لأية نهضة حضارية وسمة من السمات اللازمة لكل مجتمع يبغى اللحاق بركب الحضارة المعاصرة ، كما أنه ضرورة من لوازم الحفاظ على المستوى العلمى والثقافى للمجتمع، وأصبحت البحوث العلمية في الميدان التربوى محور الارتكاز

الذى تدور حوله كل جوانب الإصلاح والنهوض الاجتماعى. فالبحث التربوى نشاط أساسى لتنمية الكفاية في المواقف التعليمية، وتوفير المعرفة التى تسمح بتحقيق الأهداف التربوية بأكثر الطرق والأساليب فاعلية، وتبرز أهميته في تجنب العملية التربوية مخاطر التخطيط والعشوائية حماية للمجتمع والأجيال الصاعدة فيه.

ويعمل البحث التربوى على دراسة واقع الأنظمة التربوية، والكشف عن خصائصها وعن نواحى القوة والضعف فيها بقصد التعرف على أحوالها والتعمق في طبيعتها ، مستندا إلى ما يتوصل إليه من معرفة في إجراءات الإصلاح والتطوير، والمساهمة في إزالة العقبات في سبيل تحقيق الأداء السليم، كما أنه يقوم بتطوير الأنظمة التربوية في طبيعة المجتمع وخصائصه وتطلعاته إلى التقدم بما يؤدى إلى زيادة الكفاية الداخلية والخارجية لتلك الأنظمة التربوية.

ويعتبر البحث التربوى همزة الوصل بين الواقع التربوى، والقائمين على صنع السياسات التربوية حيث يقدم لهم صورة واقعية على أساس علمى سليم ويمكن الاعتماد عليها والوثوق بها، في سبيل تحديد معالم المنظومة التربوية وأسلوب عملها، وبالتالى يضمن الاستقرار والثبات فالسياسة التعليمية التى تقوم على البحث العلمى والدراسة العميقة تكون أكثر إثباتا واستقرارا من تلك التى تبنى على التصور الشخصى، مهما كانت درجة حساسية هذا التصور، لما يلعبه البحث التربوى من دور كبير في هذا المجال سواء في عملية اتخاذ القرارات التربوية، أو تزويد المسئولين في صنع السياسات التعليمية برؤية شاملة للقضايا والمشكلات والتحديات المطروحة كما يبرز لهم الأولويات التى تحدد معالم النظرة المستقبلية للعملية التربوية، الأمر الذى يفرض وجود علاقة قوية بين البحوث التربوية وصنع السياسة التربوية، علاقة تقوم على أسس علمية راسخة بحيث يكون استخدام البحث التربوى كأساس أو كأحد الأسس التى يبنى

عليها السياسة التربوية هو هدف يجب أن يسعى المجتمع إلى تحقيقه وإزالة معوقاته.

كما تبرز كذلك أهمية البحث التربوى في أنه يحسم الخلاف في كثير من المشكلات التربوية خاصة المشكلات الجدلية التى يصعب فيها إقناع أطراف الخلاف بالجهود المطروحة وكذلك طرح بعض الأفكار الجديدة المتجددة، التى تلائم المواقف المتغيرة المتجددة التى تواجه سير العملية التربوية، وبالتالى يساعدنا البحث التربوى على التوصل إلى أفضل السبل التى تمكننا من تطور الجانبين الكمى والنوعى للمخرجات التعليمية، كما يساعدنا على تنشيط المؤسسات التربوية وتجديدها وبذلك يعتبر البحث التربوى مطلبا ضروريا لإصلاح التعليم بصفة عامة.

ومن جانب آخر يسهم البحث التربوى في عملية التقويم لكافة جوانب العملية التربوية في مراحلها المختلفة، لتوفير الظروف الملائمة لتحقيق أفضل النتائج المرجوة من ا لعملية التربوية ، حيث يسهم البحث التربوى في تشخيص المشكلات التعليمية، ويقدم الحلول لعلاجها كما يحدد كفاءة طرق التدريس المختلفة وتحديد أنسبها في كل موقف معين، فهذه البحوث التربوية توفر للقائمين على العملية التعليمية البدائل العلمية الحديثة التى يمكن الاعتماد عليها بدلا من استمرار الاعتماد على الخبرات الذاتية، والمعلومات القديمة التى هى هامة بلا شك، والجهل بالحديث والمتطور في المجال التربوى.

وبالتالى يمكننا الاطمئنان لصحة ومعقولية القرارات التى تتخذ وتؤثر في مستقبل الأمة بأسرها من خلال تأثيرها على أجيالها القادمة.

كما أن هناك دورا هاما للبحث التربوى في تلبية احتياجات المجتمع ومتطلبات التنمية الاجتماعية والاقتصادية، حيث أنه يساعد في إعداد الثروة البشرية اللازمة لها، وبالتالى يمثل اساسا مهما تعتمد عليه الدول المتقدمة في

نظمها المختلفة، وتسعى الدول النامية إلى محاولة الاعتماد عليه لمواجهة مشكلاتها المختلفة ولتطور أوضاعها، كما يحدد لنا البحث التربوى مدى ملائمة البرامج التعليمية لسد الاحتياجات التربوية والثقافية لكل من الفرد والمجتمع، ولا يمكن للمجتمع أن ينمو ويتقدم إلا بالاستفادة من نتائج البحوث التربوية، وإتاحتهام للتربويين متخصصين ومختصين والسعى لتطبيقها لتحقيق التربية الصحيحة، التى هى أول أسس تقدم المجتمع، حيث تعتبر البحوث التربوية وسيلة التربية لتحسين أساليبها والنهوض بمستواها، ومواجهة المطالب المتعددة الملقاة عليها، الأمر الذى يستدعى قيام بحث تربوى على أسس متينة نابعة من حاجات المجتمع ومتلائمة مع أحواله وخصائصه.

وللبحث التربوى أهمية خاصة حيث أنها تنبع من بعض المتغيرات على مختلف المستويات يمكن إجمالها فيما يلى:

١- حداثة البحث التربوى خلال العصر الحديث مقارنة بالتقدم الكبير الذى أمكن للغرب تحقيقه في كافة مجالات البحث العلمى ومنها بالطبع البحث التربوى.

٢- تفجير المعرفة كانه بركان نشاط وامتئام ومتزايد في نشاط بما له من أخطار وفائدة وضرورة إدراك المواطنين لكيفية الاستفادة من خبرات هذا البركان وتجنب مخاطرة المهلكة.

٣- تعظم وسائل الاتصال وانفتاح العالم ثقافيا ومعلوماتيا حتى أصبحت المعلومة بل وصنع المعلومة وترويجها، هى المستقبل نفسه، مما يلقى بأهمية خاصة للتعرف على طرق الحصول على هذه المعلومات والتعامل معها وتنميتها.

٤- التقدم العلمى الكبير، ومحاولة التربويين الاستفادة من هذا التقدم للنهوض بالوسائط التربوية التى تسهم في النهوض بالمجتمع.

٥- الاقتناع بأن التربية هى الأساس الذى ارتكزت عليه الشعوب في تحولها من نامية وأحيانا أقل إلى نمور اقتصادية عملاقة أخذت مكانها على الخريطة الاقتصادية العالمية.

خامسا فوائد البحوث التربوية والنفسية

يمكن إجمالى فوائد بحوث التربوية والنفسية فيما يلى:

١- البحث العلمى أيا كان نوعه وبالأخص في ميدان التربية وعلم النفس يجعل الباحث يحيا حياة من نوع خاص ، لأنه يجد نفسه يعيش في عالم من التفكير الابتكارى ويقضى وقتاً مستمتعا بنوع من الارتياح النفسى نتيجة لتذوق الجمال العلمى والذى لا يحصل عليه من أية خبرة أخرى، وهذا الشعور لا يقدر قيمته إلا المشتغلين بالعلم.

٢- تساعد البحوث على تكوين ما يسمى بالعقلية العلمية أو الاتجاه نحو الأسلوب العلمى في الحياة فيكون الشخص ميالا إلى الاستطلاع وإلى المزيد من المعرفة لأسرار الكون، كما يميل إلى النقد البناء، وعدم تقبل الآراء بدون تحليل وإلى عدم التعصب أو التحيز وبقدر مواهب الغير ويشاركهم خبراته وعمله.

٣- أن أى بحث تربوى أو نفسى لابد أن يكون سعيا وراء حل مشكلة تربوية معينة ومن ثم يؤدى إلى تحسين العملية التربوية، ومن ثم يشعر الباحث بالكثير من الارتياح لمساهمته في تطوير المجتمع الذى ينتمى إليه.

٤- يتجه الكثير من البحوث التربوية إلى التخطيط لحياة المجتمع العامة، والتنسيق بين القوى البشرية والتقليل من البطالة الظاهرة المقنعة.

٥- تساعد الفرد على المزيد من المعرفة لنفسه وأسرار حياته بل والوقوف على أدق مشاعره، وهذا ينعكس على معرفته لغيره وتساعد على حسن التفاعل

والتعامل الاجتماعى مع الآخرين.

٦- تفيد البحوث التربوية في قياس الكفاءة الداخلية والكفاءة الخارجية للمؤسسات التعليمية من حيث تقويم مهمة المدرس، ومدى إفادة المجتمع من الخريجين وقدرتهم على الاندماج في الحياة بنجاح والوقوف على مدى الرضا عن المستويات التعليمية وفق آراء من يستخدمون هؤلاء الخريجين وكذلك الوقوف على مستوى المعلمين، وملائمة المناهج وطرق التدريس ونظم الامتحانات.

٧- تعتبر البحوث التربوية ضرورة أساسية في عالم اليوم بكل متغيراته العلمية والتكنولوجية والاجتماعية، بل هى مقدمة ضرورية لعمليات التخطيط التربوى سواء على المدى القصير أو المدى البعيد عن طريق البحوث المسحية والدراسات التشخيصية والبحوث القائمة على الدراسات المقارنة ونظم التعليم في مختلف البلدان مما يساعد على رسم خطة المستقبل لتحقيق الأهداف التربوية التعليمية.

سادسا: وظائف البحث التربوى

للبحث التربوى وظائف ومهمات متعددة والتى من أهمها:

١- تكوين مخزون من المعلومات حول العمل التربوى يفيد في رسم السياسات واتخاذ القرارات وإجراء بحوث أكثر دقة وتحديدا.

ومن هذه المعلومات : عدد السكان وتوزيعهم بحسب المناطق والأعمار ، وإجمالى الناتج القومى، وحاجات القطاعات الاقتصادية المختلفة من القوى العاملة ونسبة البطالة.

٢- تقويم البرامج والإجراءات والمواد التربوية بحيث يشار إلى النتائج التى يجرى التوصل إليها وإلى كلفتها من حيث الزمن والجهد والمال وتعرف

الشروط التى يتم ضمنها تحقيق هذه النتائج.

٣- إيجاد إجابات محددة للمسائل التربوية من نوع ماذا ندرس وكيف ندرس وكيف ننظم المدارس وندیرها تؤدى إلى بناء مناهج وبرامج في مختلف المسافات الدراسية، وتبنى طرائق وتقنيات مناسبة في تعليم أو تعلم كل المواد الدراسية واعتماد أساليب على درجة عالية من الكفاية في الإشراف والإدارة والتنظيم.

٤- توفير الحافز والتوجيه المستمر للتجديد التربوى، ذلك أننا على يقين من أن الأساليب التقليدية القائمة لا تلبى الحاجات التربوية المتغيرة، وأن ما يطلب الآن هو القيام بتجديدات تربوية جوهرية واسعة النطاق، وللبحوث دور هام في بيان نقص الأساليب التقليدية والإشارة إلى المنحى الذى يجب أن تسير فيه التجديدات.

٥- تطوير نظرية أو فلسفة تربوية تكون أكثر صحة واكتمالا من النظريات الحالية وتعالج ما هو أساس لبنية التربية ووظيفتها، فالتربية في العالم ما تزال حتى الآن لاحقة للتطورات العلمية التقنية والاقتصادية والاجتماعية تعمل على التكيف معها لا تكييفها لمصلحة الإنسان ونحن نطمح إلى عكس الأدوار والتربية في الوطن العربى ما تزال حتى الآن تابعة للفكر التربوى والعمليات والمؤسسات التربوية التى أفرزتها الحضارة الصناعية المتقدمة ونحن نطمح إلى العمل في إطار فلسفة تربوية عربية توكل إلى التربية مهمة صوغ المستقبل العربى واغناء الفكر الإنسانى العالمى.

من أهم وظائف البحوث التربوية ما يلى:

أ- تفيد قيادات التعليم في إصدار قراراتها بناء على ما تقدمه لهم من بيانات وأسس علمية مدروسة.

ب- توجه المعلم وترشده توجيها علميا.

ج- توفير المعرفة التى تساعد المربين على تحقيق الأهداف التربوية.

د- تساعد المؤسسات التربوية وأساتذة الجامعات والمعلمين على التعرف على السلوك البشرى لتلاميذهم.

هـ- تساعد الآباء على التعرف على شخصيات أبنائهم خلال مراحل نموهم المختلفة.

و- تفيد التلاميذ في فهم العملية التعليمية.

ز- تساعد التلاميذ على حل مشكلاتهم وتحصيل المعارف التى يدرسونها.